صور الخيال في ديوان السيد الحميري

طالب الدكتوراه محمد برواية
قسم اللغة العربية و أدابها،فرع آبادان، جامعة آزاد الإسلامية، آبادان ـ ايران
الدكتور عبد الرضا عطاشي الأستاذ المشرف (الكاتب المسؤول)
قسم اللغة العربية و أدابها،فرع آبادان، جامعة آزاد الإسلامية، آبادان ـ ايران
Abdolrezaattashi2014@gmail.com
الدكتور عبد الكريم آلبوغبيش الاستاذ المساعد
قسم اللغة العربية وأدابها، فرع آبادان، جامعة آزاد الإسلامية، آبادان ـ ايران
Karim5151@gmail.com

Pictures of imagination in the Diwan of Mr. Al Hamiri

Mohammad barwayah
Student , PhD , Department of Arabic Language and Literature , Abadan Branch , Azad Islamic University, Abadan , Iran
Dr. Abdolreza. Attashi (responsible writer)
Supervisor Professor , Responsible author , Department of Arabic Language and Literature, Abadan, Azad Islamic University, Abadan , Iran
Dr.abdol karim alboghbaish
Consultant professor , Department of Arabic Language and Literature , Abadan Branch , Azad Islamic University, Abadan , Iran

الملخص:-

السيد الحميري هو أحد الشعراء المرموقين. يستخدم هذا الشاعر يستخدم الصور الدينية لشرح المفاهيم الدينية خاصة شخصية بعض المعصومين عليهم السلام وأفكارهم بلغة بسيطة وخالية من أي تعقيد. تدرس هذه المقالة كيفية استخدام صور الخيال مع التحليل النوعي للبيان الشاعر الفني بهدف المراجعة والتحليل من منظور الشكل والمحتوى. اعتمد البحث في هذه الدراسة علي اسلوب التوصيفي التحليلي من خلال تجميع الشواهد وتحليلها باستخدام أدوات الاستلام.

الكلمات المفتاحية: السيد الحميري، الشعر العربي، صور الخيال، التشبيه، الاستعاره، الكنايه.

Abstract:-

Mr. Al-Hamiri is one of the distinguished poets. This poet uses religious imagery to explain religious concepts, especially the personality and ideas of some of the infallible (peace be upon them), in simple language and free from any complexity. This article examines how to use imagination images with a qualitative analysis of a poet's artistic statement for the purpose of review and analysis in terms of form and content. The research in this study relied on the method of analytical description through the collection of evidence and its analysis using the receiving tools.

Key words: Mr. Himyari, Arabic poetry, imagination images, simile, metaphor.

المقدمة:ـ

رفض السيد الحميري ترتيب قصائده بكلمات معقدة وغير مأنوسة وبذل كل جهوده لإنشاد القصيدة بشكل وأسلوب واضحين يمكن لجميع الناس فهمها بسهولة؛ لكن أفكاره السياسية والدينية الخاصة حالت أمام روعة قصائده الجديرة جدّا، وهذا أفضل سبب للادعاء بأن مجموعته الشعرية لم تصلنا بالكامل.

كان السيد الحميري أحد شعراء الكوفة المشهورين في عصره، ويعتبر شاعراً بارعًا وغزير الإنتاج لم يستطع أحد في عصره أن يضاهيه في التقنيات الأدبية والشعرية. لديه طبيعة سلسة وبليغة، وبلاغة نموذجية وأسلوب سهل ومنضبط. إنّ شعره حتى لو كان قصيدة طويلة، يشبه التماسك البنيوي الأعلى و العضوية الأسلوبية.

على الرغم من أنه لا يمكن تقديم معايير دقيقة لتقييم جمال الأعمال الأدبية والفنية، إلا أن صور الشاعر واستخدام الكمية والنوعية والصناعات والتقنيات البلاغية تقيم فنه الشعري إلى حد كبير. نحاول في هذه المقالة أن ندرس الشعر الديني عند السيد الحميري كأحد الشعراء الشيعة البارزين، من خلال تقييم كيفية استخدام عناصر خياله وشخصيته وفكره.

إن الهدف المتمثل في المعرفة الشاملة والكاملة لعظماء الأدب وعمود الفقري ومحتوى أعمال آثارهم هو ضرورة لا يمكن إنكارها للأجيال الجديدة. إن الإلمام بالأشكال التخيلية في أعمال الشعراء القدمي، واستخدام الأساليب الخطابية والأدبية، وطريقة تعبير المفاهيم وفهم الجمال الأدبي في أشعارهم وكتاباتهم، يؤدّي إلى خلق التلذذ الأدبي وزيادته. في هذا البحث، أولاً، تم استخراج عينات من التشبيهات المختلفة عن طريق البحث والفحص في ديوان السيد الحميري، وفي المرحلة التالية تم نقد الصور الأدبية من حيث التركيب والمحتوى.

عند فحص بنية عقل الكاتب ولغته، ولإدراك مدى قدرته على استخدام عناصر التجميل والتخيل، هناك العديد من الحالات والتمييزات التي يمكن أخذها في الاعتبار لتحديد درجة نجاح أو ضعف العمل. تقييم قضايا مثل فترة خلق العمل الأدبي، ومستوى الذوق والقدرة والإبداع الفني للشاعر نفسه، والموضوع والمضامين التي تم إنشاد الشعر

فيها. كيفية استخدام التركيبات والتعبيرات الفنية في الهيكل والترتيب الأدبي، هي من الأشياء التي يمكن رؤيتها بنظرة نقدية إلى حد ما، ودرجة النجاح والقبول العام للعمل الأدبي ومدى موافقته مع العمل الأدبي.

فيما يتعلق بكمية ونوع الصور التخيلية الموجودة في العمل الأدبي، يمكن القول: تواتر الصور التخيلية البعيدة والطويلة وتعاقب الصنائع الأدبية المختلفة، وخلق صور غريبة وجديدة لا يستخدمها الا الفنان البارع والحاذق، فهي لا تظهر بالضرورة في كل مكان أن قاعدة الشاعر وموضوعه الفني عاليا؛ بدلاً من ذلك، في بعض الحالات، فإن الحجم الهائل للتشبيهات والاستعارات والمجازات المعقدة نفسها تجعل العمل الأدبي ينتمي إلى فترة الانحدار الرسمي والموضوعي للأدب.

التشبيه في ديوان السيد الحميري

في شعر سيد الحميري، لم نري عددا كبيرا للتشبيهات البليغة مع حذف محترف لوجه الشبه وأداة التشبيه، لكن يمكن رؤية عدداً من الإضافات التشبيهية البارعة التي هي في حد ذاتها نوع من التشبيهات البليغة. وفي كثير من حالات التشبيهات العادية وقلة استخدام الذوق الفني، من خلال ذكر واضح للوجه الشبه الذي قلل من متعة الاستكشاف الأدبي واللغوي، مما أضر بالشكل الفني للشعر.

يهـــزُّ دويـــنَ عـــينِ الشّـمسِ ســـيفاً كَلَمـــع البـــرْقِ أخْلَصـــه الجـــلاء

(همان: ٢٠)

في هذه البين، من ناحية، التركيب الجميل ل "عين الشمس"، هو تشبيه اضافي قد ظهر بمهارة عالية جدا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هناك تشبيه السيف بلمعان البرق وذلك مع وجه شبهه استخدم مرارا. وفي المجموع، هاتان الصورتان والمبالغة في معنى البيت جعلته قطعة شبه فنية ذات حمل فني متوسط.

في بعض هذه الحالات، يضحي الشاعر بالشخصية الفنية للصور التي هي في مستوى معقول من الخيال والصقل الرسمي والروحي من خلال الجمع بين صورة أو عدة صور أخرى ولا يوليها سوى القليل من الاهتمام. يمكن القول أن التقييم الدقيق لأنواع مختلفة من

الصور التخيلية أو أنواع التشبيهات في ابيات مختلفة أمر صعب وهو مسألة ذوق يرجع إلى لذوق الأفراد، لكن من حيث المكانة الأدبية وقيمة فن الرسم، فإن التشبيه البليغ والتشبيه الضمني يقعان في نفس المزاج والمتعة الدلالية والاكتشاف الفني. على سبيل المثال، في البيت التالي:

فكـــأنّ زوره العـواكـــف حولَـــه مـــنْ بـــينِ خامعـــةٍ و نســـرٍ أهـــدبِ

(همان:٤٥)

إنه تشبيه بلاغي في موقع ملائم من حيث إزالة وجه الشبه وخلق الغموض الفني الناتج؛ هناك أيضًا تشبيه ضمني حيث خلق الشاعر جوًا مشابهًا دون خلق جو مشبه ومشبه به. لقد جعل القلب يبدو كأنه طائر، وإذا نظرنا إليه بصورة دقيقة، فإن الملمس والقيمة الفنية لهذا التشبيه الضمني تشبه قيمة تشبيه البليغ ومكانته. وتيرة التشبيهات البلاغية في شعر الشاعر ليست عالية. ومن الأمثلة على هذه التشبيهات تشبيه ريادة الإمام علي عليه السلام في اكتساب الفضائل في قياس الآخرين، بقيادة الخيل الأصيل، وتفوقه علي خيول غير أصيلة وضعيفة. أن الوجوه الفنية في هذا التشبيه لم تكن خالية عن الضعف والإشكال، لأنّ تشبيه انتصار الخيل الأصيل علي خيل غير أصيل أمر طبيعي وليس له فضيلة، لكن انتصار الخيل القوي على الخيل الأقوى يعد فضيلة):

ســـبقَ الأنـــامَ إلـــى الفضـــائلِ كلِّهـــا ســـبقَ الجـــواد إلى الرهـــان بليـــدا

(همان: ٧٨)

أو تشبيه الحب والوصاية على عائلة العصمة للحبل في إضافة مجازية جميلة:

وإذا وصـــــلْت بحبـــــلِ آل محمـــــد حبـــلَ المـــودةِ منْـــك فـــابلغ وازدد

(همان: ٨٧)

وقد استخدم أيضًا التشبيهات الضمنية والبليغة في بيتين عند مدح الأئمة عليهم السلام التي مع بساطتها وسهولتها، أعطت البيتين جمالا وتأملا خاصا:

وثالثُـــــه الحسيـــــنُ يخْفـــــى ســـــنا بـــــدرٍ إذا اخـــــتلَطَ الظـــــلام

وعاشـــــرُهم علـــــي وهـــــو حـــــصنٌ يحـــــنٌ لفَقْـــــده البلَدالحـــــرام

(همان: ١٧٠- ١٦٩)

في ديوان الشاعر، هناك عدد قليل من التشبيهات المحسوسة إلى المحسوسة والمعقولة إلى المعقولة والمحسوس إلى المعقول، التي تشير إلى القدرة على تكوين معاني جديدة وانزياح عن عقل القارئ، وهو ما نراه في كل البساطة في شعر الشاعر.، مثل البيت التالي

فأصبحتُ عندهم مأثمي مآثرُ فرْعونَ أو أعظَم

(همان: ١٧٥)

أن الشاعر قارن بين شيئين منطقيين. ومثل هذه التشبيهات هي من بين الأشياء التي يتطلبها فن الشعر وقوة التكيف الذهني.

من ناحية أخرى، نجد قضايا في الديوان شبّه فيها الشاعر الأمور الخاصة بالعقل وحاول جعل المعاني خيالية وغير مألوفة.

وظلّ مجاوِراً والناس أكلٌ لريبِ الدهرِ أصداء وهاما

(همان: ١٧٧)

أو في البيت التالي:

طَوراً أقولُ ابنُ ملعونينَ ملتقَطٌ منْ نسلِ إبليس بلْ قدكانَ شيطانا

(همان: ٢٠٠)

بتشبيهه الإنسان الخبيث بالشيطان جعل الملموس حقيقة غير مألوفة. وهذا في حد ذاته يتحدى الممتلكات القديمة والمألوفة للعقل البشري ويخلق استفسارا وفكرا أدبيا، أو في بيت شعر يشبه الأمير عليه السلام بالنور؛ وهذا لفهم العلاقة الجديدة بين المقولتين يكون عملا جديرا للذكر. وتشير هذه الأبيات إلى غزوة بدر التي رُوي فيها عن الإمام علي عليه السلام أنه قتل ٢٧ من جنود العدو، فيما كان عدد القتلى في هذه الحرب سبعين شخصا. وحقق نصرا نهائيا ودوى ترنيمة جبرائيل الشهيرة:

((لا سيف إلا ذوالفقار و لا فتى إلا علي))

(قمي، بي تا: ٣٨٠/٢)

استخدم سيد حميري في البيت الأول صناعة التلميح وفي البيت الأخير استخدم

صناعة التضمين. كما يصور عدالة الإمام في البيت الثاني بأحسن وأجمل طريقة.

وقولـــه الميـــزان بالقســـط ومـــا غيـــر علـــي فـــي غـــد ميزانـــه

ويـــل لمـــن خـــف لديـــه وزنـــه وفـــوز مـــن أســـعده رجحانـــه

(حميري:٤١٣)

يعتبر الحميري الإمام قاضيا وحكماً لأفعال البشر يوم القيامة، أي أن أفعال البشر يوم القيامة تحسب بعدالة علي عليه السلام؛ لأنه ميزان العدل وكلمته هي كلام الحق والعدل لدرجة أن الله يجعله سلطان أمة رسوله. يقول الشاعر أيضا عن كرم الإمام:

وأعتـــق مـــن يديـــه ألـــف نفـــس فاضـــحوا بعـــد رقّ معتقينـــا

(همان: ٤٣٤)

هذا البيت تلميح يشير إلى رواية الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: "إن أمير المؤمنين قد حرر ألف شخص بيده وكده وتعبه"(ابن شهر آشوب، بي تا: ١٢٣/٢)

الإستعارة في ديوان السيد الحميري

تُظهر مجموعة استعارات الشاعر في الديوان أنه استخدم عددا كبيرا منها، وهذه الملاحظة، رغم كونها بسيطة ومتواضعة، تخلق صورة فنية مبررة لشعره. يوجد سبعة وثمانين استعارة مكنية وأكثر من سبعة وعشرين استعارة مصرحة في ديوان الشاعر. كما واضح، إن الاستعارة المكنية لها مكانة فنية أعلى وقيمة أدبية أكبر من الاستعارة المصرحة، لأن من ناحية أخرى، وبسبب حذف المشبه به، يكسب المتلقي جهدا ذهنيا وخياليا أكبر ومتعة أدبية؛ ومن ناحية أخرى، بما أن في كل استعارة مكنية تشبيها وتجسيدا، فإن الصورة الناتجة تكون أكثر أصالة وجاذبية وتحرّكا من الاستعارة المصرحة. لشعر السيد الحميري مضامين مختلفة كوصف الحياة وبقاء محمد بن حنيفة في جبل الرضوي:

وَبَـــينَ الـــوَحشِ يرعـــى في الريـــاضِ مِـــنَ الآفـــاق مَرتَعُهـــا خَـــلاَءُ

(همان: ١٩)

في هذه البيت، استعارة مصرحة تبعية (يرعى) التي شبهت مشاهد المعالم السياحية والاستمتاع بالرعي. استعارة الحبل من دين الله ومحبة أهل البيت وصداقة أصدقاء الله:

حَـــبلاً مَتينـــاً بِكفَيـــهِ لـــهُ طَـــرَفٌ سَـــدَ العـــراجُ إليـــهِ العقـــدَ والكرَبـــا
مَـــن يعتَصِـــم بـــالقوَي مـــن حَبلَـــهِ فَلَـــهُ أن لا يكـــونَ غـــداً في حَـــالِ مَـــن عَطِبـــا

(همان: ٣٢)

كانت هاتان الاستعارتان أيضا استعارات اصلية وجزء من الموارد التحقيقية؛ لأن المستعار له وهو ولاية علي عليه السلام شيء محدد يمكن الإشارة إليه بالعقل. واستعار المفترس لأعداء علي عليه السلام:

يـــا لَلرِجـــالِ لِـــرَأي اُمَّ قادَهـــا ذِئبـــان يكتَنِفانِهـــا في أذوبِ
ذِئبـــان قادَهُمـــا شـــقاء وَقادَهـــا لِلحَـــينِ فَاقتَحَمـــا بِهـــا في منشَـــبِ

(همان: ٣٨)

لا تزال هاتان الاستعارتان تحقيقيتان أصليتان وترسمان صورة متكررة تمامًا في تشبيه الأشرار بالذئاب كدليل آخر على بساطة شعر السيد الحميري. استعار الأسد لشخص أمير المؤمنين عليه السلام أيضا ما زالت صورة شائعة ومتكررة.

فَتراجَعـــوا لمـــا رأوهُ وَعـــاينوا أسَـــدَ الإلـــهِ مُجالِـــداً في مَنـــهبِ

(همان: ٤٣)

استعارة العمى للجهل:

ولِـــئن أنـــتم فُتِنُـــتم وخِلـــتم في عمَـــي حائـــل وفي تردِيـــدِ

(همان: ٨٢)

أما يقول عن تجسيد شفاه وأسنان سيد الشهداء الذي يتغذىان من نور التقوى:

قـــالَ زيـــدُ ارفَعَـــن قضـــيبَك إرفَـــع عـــن ثَنايـــا غـــرَ غـــذي باتقـــاءِ

(همان: ٢٥)

هذا الاستعارة المكنية تكاد تكون جديدة ومبتكرة من بين الصور التي صنعها الشعراء حول واقعة الطف. إن تجسيد شفاه وأسنان الرسول هي كإنسان يتغذى الضباب، هو صورة وهمية رقيقة ومتحركة. وكذلك تجسيد السماوات والأرض بالبكاء في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام:

بَكـــــتِ الأرضُ فَقـــــدَهُ وبكتـــــــهُ بِـــــاحمِرارٍ لـــــهُ نَـــوَاحي الســـــماءِ

(همان: ٢٥)

مخاطبة جبل الرضوي، وهي صورة متكررة وشائعة للغاية في جميع صفحات مجموعته الشعرية:

أيـا شِـعبَ رَضـوي مَـا لِمَـن بِـك لاَ يـرى فَحَـــتى مـــتى تَخفَـــي وأنـــتَ قَرِيـــبُ

(همان: ٣١)

في هذه البيت، إضافة إلى مخاطبة الجبل، التي تحتوي على التجسيد، فإن التفات الشاعر من مخاطبة الجبل إلى مخاطبة محمد بن حنيفة قد ساعد في تكوين الخيال المعنوي للبيت.

الكنايه في ديوان السيد الحميري

معظم الكنايات المستخدمة في ديوان الشاعر هي كنايات النسبة وكنايات من الصفات القريبة. إن الكناية من الموصوف والكناية من النسبة بذكر الإسم لهما أيضًا مظهر لافت للنظر في الديوان، لكن الناس والموصوفات المعنيين في هذه كنايات في أغلب الأحيان تكون هي الله و النبيﷺ و الإمام عليعليه السلام والإمام الحسين عليه السلام. وهي قد جعلت اللغة والمضامين متكررتان. وقد سلبت الإنزياح والجذابية والمحاولة الذهنية من شعره. فيما يلي نشير إلى بعض الكنايات:

فقلـــتُ دَعِـــيني لـــن أُحبَـــرَ مِدحَـــهً لِغَيرِهِـــمُ مَـــا حَـــجَ لِلـــهِ أركـــبُ

(همان: ٣٠)

في هذا البيت، إن عبارة "نحن حجاج الله" تعني "ما دامت قوافل الحج تمر" وهي إشارة إلى التاريخ كله وبمعنى "أبدًا" يصاحبها التأكيد الكثير. بشكل عام، تظهر الكناية مع محتوى الزمن اللامتناهي في شعر الشاعر. في البيت التاليي جاءت كناية جيدة جدًا لشجاعة جنود أمير المؤمنين عليه السلام وروحهم القتالية:

وذَو والبَصَـــائِرِ فَـــوقَ كـــلَ مُقَلَّـــصٍ نَهـــدِ المَرَاكـــلِ ذي سَـــبِيبٍ سَـــلهَبِ

(همان:٤٤)

لأن مثل هذه الخيول تحتاج إلى فرسان ومحاربين أقوياء ليتمكنوا من الجلوس على هذه

الخيول ويدخلو ساحات القتال. قد جاء في البيت التالي صورة الخزي والإحراج والهزيمة لأحد أعداء أهل البيت عليهم السلام:

فتعطَلَـــت يمـــني يدَيـــه عقوبـــهً وأتـــى عشـــيرتَهَ بوجـــهٍ أســـودِ

(همان: ٨٧)

ومن كنايات الصفة الأخرى هو البيت الذي يذكر فيه العلم والنعمة والصبر وجمال الوجه وسيرة أهل البيت عليهم السلام.

عظـــامُ الحلـــومِ حِســـانُ الوُجـــوهِ شُـــمُ العَـــرانِينِ والمُنجـــدِ

(همان: ٩١)

النتيجة:ـ

إن لغة شعر سيد وأجوائه بسيطة للغاية وتتوافق مع احتياجات المتلقي ومأخوذة من العناصر الجميلة للعالم المحيط بنا. إن مركزية المضمون والمعنى في تشبيهات الشاعر، تضر بالتعبير الفني لشعره من ناحية، ومن ناحية أخرى، تنقل الدرجة العالية من تمسك الشاعر بالمعتقدات الشيعية والتركيز على الفكرة في شعره. إن لغة شعره وأجوائها بسيط للغاية وطلاقة وتتوافق احتياجات الناس ومأخوذة من العناصر الجميلة للعالم فيلبي الشاعر هذه الحاجة الدلالية بلوحات يرسمها من الطبيعة المحيطة.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم و الملوك، مراجعه و تصحيح نعيم زرزور، دراسة و تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميه، بيروت
٢. ابن حجر، لسان الميزان، داراحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٢ق/٢٠٠١م.
٣. ابن خلكان، احمد بن محمد، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٤ش.
٤. ابن شهر آشوب، معالم العلماء، مكتبة الحيدريه، نجف، ١٣٨٠ق/١٩٦١م.
٥. ابن وردي، عمر بن مظفر (زين الدين)، تاريخ ابن الوردي، دارالكتب العلميه، بيروت، ١٣٨٩ق/١٩٧٠م

٦. الأردبيلي الحائري، محمد بن علي، جامع الرواة و ازاحة الاشتباهات عن الطرق و الاسناد، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٣ق.
٧. الأمين العاملي، سيد محسن، اعيان الشيعة، بيروت، دارالتعارف، ١٤٢١ ق.
٨. التستري، محمدتقي، قاموس الرجال، موسسه نشر اسلامي، قم، ١٤١٨ق.
٩. الخويي، ابوالقاسم، معجم رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواة، مدينة العلم آية الله العظمي الخويي، قم.
١٠. الزنجاني، موسي، الجامع في الرجال، پيروز، قم، ١٣٩٤ق.
١١. سيد بسام مرتضي، زبدة المقال من معجم الرجال، دارالمحجة البيضاء، ١٤٢٦ق/٢٠٠٥م.
١٢. السيد الحميري، اسماعيل بن محمد، ديوان، تحقيق حسين اعلمي، موسسه الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٣. العلامه الحلي، حسن بن يوسف، خلاصة الاقوال، في معرفة الرجال، تحقيق جواد قيومي، نشر الفقاهة، قم، ١٤٢٢ق.
١٤. شبر، جواد، أدب الطف، أو، شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، دار المرتضي، بيروت.
١٥. قهبايي، عنايت الله علي، مجمع الرجال، تحقيق سيد ضياءالدين اصفهاني، اصفهان، ١٣٨٤.